الصاعقة العاشرة: مُنًى كن لي أن البياض خضابُ(*)

منًى كُنّ لي أن البَياضَ خِضابُ ... فيَخفَى بتَبييضِ القُرون شَبابُ(١)

ليَاليَ عندَ البِيضِ فَوادِيَ فِتنةٌ ... وَفَخرٌ وذاك الفخر عنديَ عابُ(٢)

فكيف أذُم اليَوم ما كنتُ أشتَهي ... وأدعُو بما أشكُوهُ حينَ أُجَابُ

جلا اللونُ عن لونٍ هدى كلَّ مسلكٍ ... كمَا انجابَ عن ضَوءِ النّهارِ ضَبابُ

وفي الجسمِ نَفسٌ لا تشيبُ بشيبِه ... ولو أن ما في الوَجهِ منهُ حِرَابُ

لها ظُفْرٌ إنْ كَلَّ ظُفرٌ أُعِدّهُ ... ونَابٌ إذا لم يَبقَ في الفَمِ نَابُ

يُغيِّر مني الدهرُ ما شاء غيرهَا ... وأبلُغُ أقصَى العُمرِ وهيَ كَعابُ

وإني لنَجمٌ تَهتَدي صُحبتي بِهِ ... إذا حالَ من دون النّجومِ سَحَابُ

غنيٌّ عن الأوطانِ لا يستخِفّني ... إلى بَلَدٍ سَافرتُ عنهُ إيابُ

وعن ذَمَلانِ العِيسِ إن سامحَتْ بهِ ... وإلا فَفي أكوَارِهِنّ عُقَابُ(٣)

وأصدَى فلا أُبدي إلى الماء حاجةً ... وللشّمسِ فوق اليَعمَلاتِ لُعابُ(٤)

وللسرّ مني موضِعٌ لا يَنَالُهُ ... نَديمٌ ولا يُفضي إليه شَرَابُ

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها كافور الأخشيدي، ملك مصر.

(١) القرون: ضفائر الشَّعر.

(٢) الفودان: جانبا الرأس. العاب: العيب.

(٣) الذملان: السير السريع. الأكوار: جمع كور: الرحل.

(٤) أصدى: أعطش. اليعملات: النياق الجميلة.

وللخَـوْدِ مني سـاعـةٌ ثم بيننا فَـلاةٌ إلى غـيـر اللقـاء تُجـابُ[١]

ومـا العـشق إلا غـرّةٌ وطَمَـاعـةٌ يُعـرِّضُ قلبٌ نفـسـهُ فـيُـصـابُ

وغـيـر فُـؤادي للغَـوَاني رَمـيّـةٌ وغَـيـرُ بنَاني للزجَـاج رِكَـابُ[٢]

تَركنا لأطراف القنا كُلَّ شَـهـوَةٍ فـلـيس لـنـا إلا بـهِـن لِـعَـابُ

نُصـرّفـهُ للطّعن فَـوقَ حَـوَادرٍ قـد انقصـفَتْ فـيهنّ منه كِعَـابُ[٣]

أعـزُّ مكان في الدنى سـرجُ سـابحٍ وخـيـرُ جليسٍ في الزمان كِـتـابُ[٤]

وبحـرُ أبي المسْكِ الخـضمُّ الذي لهُ على كلّ بحـرٍ زخـرةٌ وعُـبـابُ[٥]

تجـاوزَ قـدر المدحِ حـتى كـأنّهُ بأحـسَنِ مـا يُثنى عليـه يُعَـابُ

وغـالبَـهُ الأعـداءُ ثم عنوْا لهُ كـمـا غالبتْ بيضَ السيـوفِ رِقابُ

وأكـثـرُ مـا تلقى أبا المسْكِ بذلَةً إذا لـم تَصُنْ إلا الحَـديدَ ثِيَـابُ[٦]

وأوسَعُ مـا تَلقـاهُ صَـدراً وخلفَـهُ رمـاءٌ وطعنٌ والأمَـامَ ضِـرَابُ

وأنفـذُ مـا تلقـاهُ حكمًـا إذا قَـضَى قـضـاءً مُلُوكُ الأرض منه غـضـابُ

يقـودُ إليـه طاعـةَ الناسِ فـضلُهُ ولو لم يقُـدْهَا نَائلٌ وعِـقَـابُ

---

(١) الخود: المرأة الناعمة. تُجاب: تقطع.

(٢) رميَّة: هدف. الزجاج: كؤوس الخمر.

(٣) السمان: الغلاظ.

(٤) سابح: الفرس السريع.

(٥) الخضم: الماء الكثير. العُباب: كثرة الموج وارتفاعه.

(٦) بذلة: ترك الصيانة.

أيا أسـدًا في جسـمِه روحُ ضَيـغَمٍ ... وكم أسـدٍ أرواحُـهُنّ كِـلابُ

ويا آخـذًا من دهرِه حقَّ نفسِـه ... ومِـثلُكَ يُعطَى حَـقَّـه ويُهـابُ

لـنا عـندَ هذا الـدهرِ حقٌّ يَـلُطّهُ ... وَقَـدْ قَلّ إعـتـابٌ وطَالَ عِـتَـابُ[1]

وقـد تُحدِثُ الأيامُ عندك شيـمَـةً ... وتَنعَـمِـرُ الأوقـاتُ وهي يبـابُ[2]

ولا مُلْكَ إلا أنت والمُلكُ فَـضلَةٌ ... كـأنك سـيفٌ فـيـه وهو قِـرَابُ

أرى لي بقـرْبي منك عـينًا قَـريرَةً ... وإن كـانَ قُـربًا بالبِـعَـادِ يُشَـابُ[3]

وهل نـافعي أن تُرفَعَ الحـجبُ بَينَنا ... ودُونَ الذي أمّلتُ منكَ حِـجـابُ

أقلُّ سـلامي حُبَّ مـا خفّ عَنكُمُ ... وأسكُتُ كَيـمَـا لا يَكونَ جَـوَابُ

وفي النفسِ حـاجـاتٌ وفـيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتي بَيَـانٌ عندها وخِطابُ

ومـا أنا بالبـاغي على الحبِّ رِشوَةً ... ضَـعيفُ هوى يُبغَى عليـه ثَوَابُ[4]

ومـا شِـئتُ إلا أن أدُلّ عَـوَاذِلي ... عَلى أنّ رأيـي في هَوَاكَ صَـوَابُ

وأُعلِمَ قَومًـا خَـالفُـوني فـشَرَّقُـوا ... وَغَـرّبتُ أني قـد ظَفِـرتُ وَخَـابُوا

جَـرَى الخُلفُ إلا فـيكَ أنَّكَ واحِـدٌ ... وأنّـكَ لَـيـثٌ والمُـلُـوكُ ذِئَـابُ

وأنك إن قُـويِسْتَ صـحَّف قـارِئٌ ... ذِئَابًا ولم يُخطِئ فَـقَـالَ ذُبَابُ

---

(١) يلطه: يجحده. الإعتاب: الإرضاء.

(٢) الشيمة: الخلق. تنعمر: تؤهل. اليباب: الخالي.

(٣) يُشاب: يمزح.

(٤) الباغي: الطالب.

وإنَّ مـــديحَ النـاسِ حقٌ وبـاطِلٌ ومَـدحُكَ حقٌّ لـيسَ فـيـهِ كِـذابُ
إذا نِلتُ منك الوُدّ فـــالمالُ هَينٌ وكُلُّ الذي فَـوقَ التّـــرَابِ تُرَابُ
ومـا كُنتُ لولا أنتَ إلا مُـهـاجِـرًا لَهُ كلَّ يَـوم بلدةٌ وصِـــحـــابُ
ولكِنَّكَ الدَّنيَـا إليّ حَـبـيـبَـةً فَـمَـا عَنكَ لي إلا إليكَ ذَهَابُ

obeikandl.com